العنوان:	المدينة الإسلامية
المصدر:	عالم الكتاب
الناشر:	الهيئة المصرية العامة للكتاب
المؤلف الرئيسي:	عثمان، محمد عبدالستار
مؤلفين آخرين:	الهلابي، عبدالعزيز بن صالح(عارض)
المجلد/العدد:	ع 23
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1989
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	32 - 34
رقم MD:	526800
نوع المحتوى:	عروض كتب
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	عرض وتحليل الكتب، العالم الإسلامي، المجتمع المسلم، التنمية العمرانية، المعالم الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/526800

المدينة الاسلامية

عرض : د. عبد العزيز صالح الهلابى

ان الاهتمام بتواريخ المدن فى كل الأزمنة يجسد شعور الحب والوفاء الذى يكنه المؤلفون تجاه مدنهم وهو فى نفس الوقت يعكس شعور الجماعة من اهل المدينة . وقد قام عدد من الكتاب المسلمين بوضع مؤلفات عن مدنهم فى مراحل مختلفة من التاريخ الاسلامى . واذا تفحصنا دوافع هؤلاء الكتاب للتأليف وجدناها مختلفة ، فبعضها كانت دينية فى المقام الأول اذ هى تهدف الى تسجيل تراجم المحدثين والعلماء الذين انتجتهم المدينة او عاشوا فيها ، وبعضها الآخر ألفت لاعتبارات دنيوية إذ هى تركز على رصد المعلومات الطبوغرافية فى المدينة ووصف الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية وتمثلت هذه بكتب الخطط التى ألفت عن الفسطاط والكوفة والبصرة والتواريخ لمكة والمدينة ودمشق وغيرها .

أما فى العصر الحديث فقد توجهت الدراسات الحضارية الى الاهتمام بدراسة تاريخ المدن وتطورها من منطلقات مختلفة فمنها ما يركز ـ خاصة فى اوربا ـ على المؤسسات الحكومية والقانونية متأثرين بهذا الاعتبار بخصائص المدينة ومفهومها فى العصور اليونانية والرومانية والأوروبية الوسيطة . ومنها ما يركز على الحياة اليومية فى المدينة وأوجه النشاط فيها والعلاقات بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، وبينها وبين السلطة . وثالثة تركز على المظهر الفيزيقى للمدينة بما تحويه من منشآت عمرانية وطرق ومرافق .

وقد ظهر أخيرا عدد من الدراسات عن ((المدينة)) لبعض الباحثين العرب ، وبعضهم قصر دراسته على مدينة واحدة والبعض الآخر شمل بها عددا من المدن من حيث اشتراكها فى عدد من المظاهر أو تميزها بخصائص دون الأخرى .

ومن أحدث الدراسات فى هذا الموضوع دراسة الدكتور محمد عبد الستار عثمان ((المدينة الاسلامية)) . والمؤلف مختص بالدراسات الآثارية والحضارية ، ولديه رصيد طيب من التجربة البحثية فى هذا الميدان . وقد قام المؤلف فى هذه الدراسة باستقصاء المصادر الاسلامية القديمة والدراسات الحديثة العربية والأجنبية استقصاء لامزيد عليه ، فلقد بذل جهدا مضنيا فى جمع مادة كتابه من المصادر الفقهية والجغرافية والتاريخية وكتب الحسبة ، والتقارير الآثارية . وصاغ مادته بأسلوب واضح سلس ، ورتب فصوله وموضوعاته ترتيبا منطقيا مع الامانة فى النقل والعمق فى التحليل والدقة فى الالتزام بمنهج البحث . وقد أثبت فى كثير من المواضع خطا النتائج والأحكام التى وصل اليها بعض المستشرقين مثل سوفاجيه وبلانهول ، وهى نتائج اصبحت أيضا محل نقد من بعض المستشرقين المعاصرين من أمثال ايرا لابيدوس .

وقد مزج المؤلف فى كتابه بين دراسة الفكر العمرانى عند المسلمين والتطبيق الذى تم فعلا عند تأسيس المدن الاسلامية من حيث اختيار موقعها وتخطيط منازلها ومنشآتها وطرقاتها ومرافقها العامة وتحصينها ، ووظيفة المدينة والمؤثرات التى أثرت على نموها وتطورها .

● المدينة الإسلامية/تأليف محمد عبد الستار عثمان . ـ الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، 1988 . ـ 407 ص ، 21 سم ـ (عالم المعرفة : 128)

وكتاب ((المدينة الاسلامية)) يتألف من مقدمة ومدخل تمهيدى وسبعة فصول وخاتمة . وقد بحث المؤلف فى المدخل التمهيدى الموسوم ((الفكر الاسلامى واستراتيجية العمران)) تعريفات المدينة ونظريات نشأتها بصفة عامة ثم خلص الى أن الفكر العمرانى الاسلامى امتاز بالشمولية فى مبادئه العامة ، وبالتخصصية فى جزئيات التطبيق ، وأن البحث فى الفكر العمرانى الاسلامى يتدرج من عرض سياسة العمران للدولة بصفة عامة ، ثم ينتقل الى الفكر الموجه لتخطيط المدن ، ويتدفق الى أن يصل الى دراسة دقائق الحرف والصناعات المتصلة بالعمران ، وهو كل يعمل فى اطار واحد وتؤثر وتتأثر جزئيات ببعضها البعض ، ومن هذا التنوع والتدرج تنوعت المصادر التى تعرضت للفكر العمرانى الاسلامى ابتداء من تلك المصادر التى اهتمت بالاجتماع السياسى الى المصادر الفقهية وكتب الحسبة ، ويؤكد المؤلف أن المصادر التاريخية بصفة عامة وكتب تاريخ المدن وخططها على وجه الخصوص تعكس مدى اهتمام الفكر العمرانى الاسلامى بالمدن ، كما أنها من جهة أخرى تعكس المستوى الحضارى للفكر الاسلامى الذى حرص على تسجيل تاريخ مدنه واعلامها وخططها .

وفى الفصل الأول الذى يحمل عنوان ((نشأة المدينة)) أوضح المؤلف النظريات التى حاولت تفسير كيفية نشأة المدينة والمعايير التى تميز المدينة عن غيرها من مراكز الاستيطان الحضرى ، ثم يذكر تحديد بداية نشأة المدينة الاسلامية فى يثرب بعدهجرة الرسول ﷺ اليها التى حولتها إلى ((المدينة)) . وبدأت تتغير معالمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها ، ووحد كيانها ، وجعلها مركزا حضاريا متكاملا يتناسب وذلك التغيير الذى طرأ على مجتمعها الذى بدأ يستجيب للتشكيل الحضارى الجديد الذى يدعو اليه الاسلام . وبعد أن تقدمت الجيوش الاسلامية لنشر الاسلام خارج الجزيرة العربية أنشأت معسكرات لهذه الجيوش مالبثت أن أصبحت مدنا فى البصرة والكوفة والفسطاط القيروان ، وكان تخطيطها يبدأ فى الأساس بالمسجد الجامع باعتباره نواة المدينة ، وبجواره عن قرب دار الامارة ، ثم وزعت الخطط على القبائل بعد أن خططت الشوارع والأزقة والرحبات . ومع مرور الزمن أخذت تتحول هذه المدن بعد وقف الفتوحات من مجتمعات عسكرية ، وظهر هذا التحول فى النواحى الاجتماعية حيث أخذت تتلاشى النزعة القبلية ونشأت تكوينات وطبقات اجتماعية متأثرة بعوامل داخلية وخارجية ، كما حدث تطور أيضا فى النواحى الفكرية والمفاهيم السياسية .

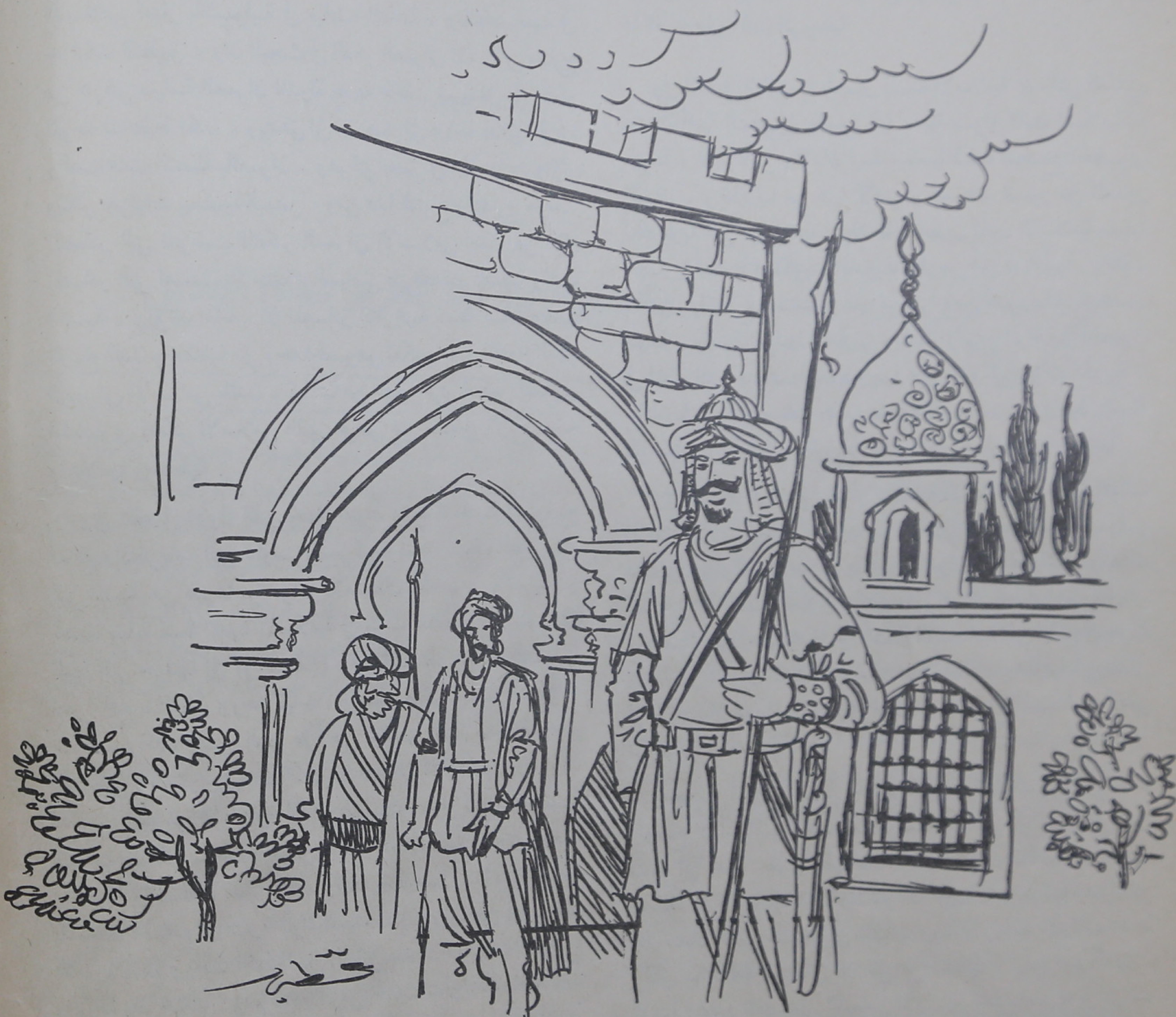
وفى الفصل الثانى ((تخطيط المدينة الاسلامية)) بحث المؤلف المحاور والأسس والقوانين العامة التى تحكم تخطيط المدينة الاسلامية وتوصل الى نتيجة مفادها أن تخطيط المدينة الاسلامية قام على أسس نابعة من قيم الدين الاسلامى تفى بحاجات مجتمعه المادية والروحية ، الفردية والجماعية مستفيدة مما صلح من التراث المدنى الذى سبقها . وانعكس تطبيق هذه الأسس والقواعد على صياغة وحدتها التركيبية الاسلامية التى تميزها عن غيرها من المدن والتى تشابهت فى كل المدن الاسلامية ولاسيما أن الأسس واحدة . وفى ذلك ما يدفع اتهامات بعض الدراسات الغربية للمدينة الاسلامية التى أنكرت وجود أسس تخطيطية ثابتة للمدينة الاسلامية وخلوها من أى وحدة تركيبية لما أصابها من فوضى فى التخطيط على عكس ما كانت عليه المدن الرومانية .

وفى الفصل الثالث ((تحصين المدينة الاسلامية)) ناقش الدكتور عثمان أهمية التحصين بالنسبة لأية مدينة سواء كانت اسلامية أم غيرها ، لأن الأمن والأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضرى المستقر ، وانطلاقا من هذا الاعتبار فقد عد السور من المعايير الحضارية التى تميز المدن ، وقد كان تحصين المدن الاسلامية معيارا حضاريا أساسيا فى تكوينها المادى لما يوفر من أمن لساكنيها . وكانت الأسوار والقلاع وماتشتمل عليه من أبراج من أهم وسائل التحصين المتبعة ، وأضيفت إليها المحارس والمناظر وأبراج المراقبة فى الحصون فى المدن التى حتمت طبيعتها وجود مثل هذه التكوينات الحربية . وكان لهذه التحصينات بصورها المختلفة ولاسيما التى تحيط بالمدينة أثر مباشر فى تخطيطها وتوزيع التكوينات المعمارية فيها وهيئتها .

وفى الفصل الرابع ((شوارع المدينة الاسلامية)) ناقش المؤلف الاعتبارات فى تخطيط الشوارع وعلاقتها بتخطيط المدينة ، وأثر الحصون والوضع الأمنى فى مقاييس الشوارع واتجاهاتها ، وكذلك انعكاس نمو المدن الاسلامية وتحويلها إلى مراكز حضارة عمرانية على سعة شوارعها ومسمياتها ، والأنشطة الاقتصادية التى تتمثل فى حركة التجارة فى أسواق المدينة الرئيسية ، والأنشطة الاجتماعية التى تتمثل فى الاحتفالات والمواكب التى تقام فى شوارع المدينة فى بعض المناسبات الخاصة والأعياد .

وخصّص المؤلف الفصل الخامس لدراسة المنشآت والمرافق العامة وأوضح أن أغراضها اختلفت وتنوّعت من عصر الى عصر آخر ومن مدينة الى مدينة أخرى لتفى بحاجات الناس الجماعية . وتولت السلطة فى المدينة إنشاءها والاشراف عليها ، وشاركها أهل البر والاحسان الذين أسهموا فى انشائها ووقفها ووقف الأوقاف عليها يرتفق بها العامة ويتحقق الغرض من انشائها . ومن أهم المنشآت الدينية الجامع الذى يمثل الأساس الأول ثم أخذ يلحق به فى فترات تاريخية متفاوتة المدارس والخانقاه والربط والتكايا ، وقد لبت هذه المنشآت حاجات المجتمع الدينية والتعليمية . ومن المنشآت العامة الحمامات العامة التى أنشئت لخدمة سكان المدينة الاسلامية ، والبيمارستانات التى أنشئت لتوفير الخدمات العلاجية والطبية لهم . وكذلك الأسواق التى تعتبر أحد الركائز الاقتصادية للمدينة . ويُعدّ تزويد المدينة بالماء من أهم المرافق العامة ، وقد تنوعت مصادره وكذلك أساليب توفيره .

وفى الفصل السادس ((الحياة السياسية فى المدينة الاسلامية)) أوضح الدكتور عثمان ارتباط التكوينات المعمارية بالمدينة الاسلامية بوظيفتها السياسية . ومن هذه التكوينات دار الامارة أو القصر



ودواوين الحكم والادارة والجيوش بحكم أنها الموضع الذى تدار من خلاله الدولة اذا كانت المدينة عاصمتها ، أو الاقليم اذا كانت المدينة قاعدة له ، أو المدينة نفسها باعتبارها كيانا قائما بذاته وتحدد هيئة هذا التكوين بالوضع السياسى للمدينة .

أما فى الفصل السابع ((الحياة الاجتماعية فى المدينة الاسلامية)) فقد حلل أثر السياسة الداخلية على الأوضاع الاجتماعية مثل ادخال اصلاحات سياسية أو قيام فتن أو ثورات أو ادخال عناصر عسكرية جديدة . ثم حلل أثر السياسة الداخلية على الأوضاع الاجتماعية مثل ادخال اصلاحات سياسية أو قيام فتن أو ثورات أو ادخال عناصر عسكرية جديدة . ثم حلل أثر الحياة الاقتصادية (زراعة ، تجارة) والحياة الدينية والفكرية فى الحياة الاجتماعية بالمدينة . ثم بين أثر التفاعل بين عناصر السكان الذين ينحدرون من أصول عرقية مختلفة ثم بين التركيب السكانى للمدينة والتفاوت الاجتماعى بين السكان ، وأكد أن المدينة الاسلامية بهيكلها التخطيطى والعمرانى ما هى الا صدى لجوانب النشاطات الاجتماعية المختلفة .